تقديم كتاب:

Giovanna Campani, Madri sole: Dalle concubine romane alle single mothers, Rosenberg & Sellier, Torino. Italie, novembre 2012, 220p.

جيوفنّا كامبني، الأمهات العازبات: من الخليلات الرومانيات إلى الأمهات العازبات، دار النشر روزنبارغ وسوليي، تورينو، إيطاليا، نوفمبر 2012، 220ص

الدكتور سعيد الحسين عبدولي، جامعة قرطاج، المعهد الوطني الاجتماعية، تونس للشغل والدراسات



تقديم كتاب

جيوفنّا كامبني، الأمهات العازبات: من الخليلات الرومانيات إلى الأمهات العازبات، دار النشر روزنبارغ وسوليي، تورينو، إيطاليا، نوفمبر 2012، 220ص.[1]

1. تقديم هوية الكتاب:

الأمهات العازبات: من الخليلة الرومانية إلى الأمهات العازبات، هو عنوان كتاب للكاتبة الايطالية جيوفنّا كامبني، المتخصصة في مجال الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع، الصادر سنة 2002، وهو كتاب من الحجم المتوسط يتضمن 220 صفحة باللغة الايطالية.

ويتضمن الكتاب:

- مقدمة للباحثة آنا ماريا فينيرا.
- الباب الأول: نفس الأم العازبة في كل المحطات التاريخية

وقد تضمّن هذا الباب مقدمة و 9 فصول، استعرضت فيها الكاتبة عرضا تاريخيا للأم العازبة عبر جملة من المحطات التاريخية بدءا من العصور الرومانية وفي مرحلة هيمنة الكنيسة والديانة المسيحية وآثار ذلك على الأسرة بصفة عامة، وصولا إلى مرحلة التحولات الكبرى في أوروبا. أي منذ القرن 17 وبداية التحولات الكبرى التي أفرزت ظهور الحداثة. حيث ركزت الكاتبة على ظاهرة الأرامل والأمهات بصفة عامة، مستعرضة آثار الإصلاحات الجديدة خاصة في مجال حقوق الإنسان وظهور القوانين الضامنة لذلك على واقع المرأة الذي منحها هامشا كبيرا من الحريات والحقوق والمساواة. لتظهر بذلك علاقات جديدة خارج إطار الزواج الرسمي خاصة في إطار الطبقة العاملة مركزة على أبرز المشاكل التي تتعرض لها الأمهات العازبات.

- الباب الثاني: الأسرة المتغيرة:

وقد قسمت مؤلفة الكتاب هذا الباب إلى جزئيين في كل منهما مقدمة، حيث استعرضت:

في الجزء الأول ملامح الأسرة الحديثة التي هي نتاج جملة التحولات التي شهدتها أوروبا عموما وإيطاليا على وجه الخصوص، وما للقوانين الجديدة من آثار على انتشار هذا النوع من الأسر الذي أفرز ما يمسى بالنساء العازبات. مثلما استعرضت في نفس السياق الزواج مـــــن نفس الجنس أي ما يصطلح عليه بالمثليين.

أما في الجزء الثاني فقد ركزت في إطار تحليلها للعوامل التي كانت سببا في تغير الأسرة وخاصة العوامل الاقتصادية ممثلة في الفقر وقضية المساواة بين الجنسين ونظرة المجتمع إلى الأم وتطرقت إلى نفس الظاهرة في الولايات المتحدة الأمريكية باعتبارها مثالا لقياس الحداثة وما بعدها. لتبرز علاقة ذلك بظاهرة الأمهات العازبات والأنماط الجديدة للأسرة.

---

[1] Giovanna Campani, Madri sole: Dalle concubine romane alle single mothers, Rosenberg & Sellier, Torino. Italie, novembre 2012, 220p.

2. المسألة المركزية في الكتاب:

تناول هذا الكتاب قضية المرأة في المجتمع الايطالي كعنصر منفرد من حيث الشكل، إلا أن مضمونه أعمق من ذلك بكثير حيث بحث في جملة من القضايا المتصلة بواقع المرأة وتحديدا فيما يسمى بالأم المجهولة أو الأم العازبة. فمسألة الأمومة تختلف حسب طبيعة المجتمع ورصيده الثقافي أي العادات والتقاليد والدين، التي تعد جميعها من العوامل المنظمة للمجتمع وتنميط قوانينه التي تسيّر حياة الجماعة والأفراد.

ومن هنا فإن واقع المرأة بدوره لا يخرج عن هذه الدائرة مثل مسألة الزواج داخل الأطر الرسمية أو خارجها، الأمر الذي أفرز ما يصطلح عليه بالأمهات العازبات، حيث أن المرأة تنجب وتصبح خارج المواثيق الرسمية التي أفرزها المجتمع سواء بفعل القانون أو العادات والأعراف والأديان.

تلك هي الإشكالية المحورية التي حام حولها هذا الكتاب الذي تناول قضية الأمهات العازبات في المجتمع الايطالي باعتبارها ظاهرة متنامية ومتغيرة أي تتميز بالحركية. الأمر الذي أفرز عدة انعكاسات على بنية المجتمع. حيث اعتبرت الكاتبة أن ظاهرة الأمهات العازبات من أبرز الأسباب الفاعلة في التغيرات الديمغرافية والاجتماعية في السنوات الأخيرة. وهو ما يشار إليه في المجتمع الايطالي بالأُسر ذات العائل الواحد، الأُسر خارج إطار الزواج. معتبرة النساء المطلقات اللواتي انفصلن عن أزواجهن ينتمين إلى نفس الفئة، باعتبار أن الأم التي تنفصل لأي سبب من الأسباب تعد العائل الرسمي للأسرة وتتحمل أعباءها بمفردها في كل الحالات، سواء كانت العلاقة الزوجية داخل إطار الزواج أو خارجـــه أو أثناء الطلاق.

بناء على ذلك كله، انشغلت الباحثة "جيوفنّا" لسنوات طوال في دراسة هذا المشروع الذي أثمر كتابها حول الأمهات العازبات، وهي الفئة التي تعرف- كما أسلفنا القول- بعدة تسميات مثلما وردت في محتوى الكتاب: الأم الواحدة، الأم الحرة، ومعنى الوحدة والحرية هنا يشيران إلى غياب الزوج أو الشريك. معتبرة أن هذا الصنف من العلاقات قد يكون اختياريا ومتعمدا وناجحا بعض الأحيان في المجتمع العصري اليوم، سواء بالنسبة للنساء أو الرجال قصد مجابهة تحديات الحياة. و استنتجت أن ذلك من الحلول التي يختارها البعض للتخلي عن العزلة. مثلما يمكن لهذا النوع من الارتباط بين المرأة والرجل أن يكون مؤقتا لتكون المرأة الايطالية وابنها ضحية هذه العلاقة.

ومن أجل وضع المسألة في إطارها التاريخي انطلقت الكاتبة في معالجة الظاهرة من خلال تبيان سياقها التاريخي انطلاقا من أوروبا وأمريكا الشمالية واستندت في ذلك على جملة الدراسات الـــــمتصلة بوضع المرأة في الزواج والأمومة على مر العصور أو عبر دراسة السيرة الذاتية لبعض العينات والشخصيات من الأمهات وأطفالهن، وممارسة الشهوات الجنسية خارج النطاق الشرعي، وكل ذلك أفرز ما يسمى بالمرأة الضحية التي تتحمل بمفردها وزر تلك العلاقات، و لتنشأ بذلك أسر حديثة دون نسب أصلي.

وقد اعتبرت الكاتبة أن تفشي ظاهرة النساء العازبات له عدّة تفسيرات سوسيولوجية، حيث أن التحولات التي شهدتها المجتمعات الحديثة في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية أفرزت بروز أنماط جديدة من العيش وكذلك

ظهور معاني جديدة لمسألة الأبوّة. فسوء الأوضاع الاجتماعية أدى إلى ظهور الفقر والتوترات النفسية فضلا عن الجهل، على أن تردي الأوضاع الاقتصادية يعد حسب اعتقادها في مقدمة الأسباب المساهمة في بروز هذا النوع من الأسر ذات العائل الواحد، ثم تأتي العوامل الاجتماعية في المقام الثاني. مثلما سمحت قيم الحرية والديمقراطية للفرد بممارسة رغباته بعيدا عن رقابة التقاليد والعادات القديمة، هذا فضلا عن دور البطالة والفقر والخصاصة، وكل ذلك مجتمعا أفرز بروز هذه الظاهرة في المجتمع الأوروبي عموما وايطاليا على وجه الخصوص: النساء العازبات.

وقد اعتبرت الكاتبة في معرض تحليلها لواقع الأمهات العازبات، أن عديد التشريعات والقوانين أهملت حقوق المرأة العازبة وابنها، في الوقت الذي ضمنت فيه حقوق الأم المتزوجة متسائلة عن أسباب وجود هذا النوع من العلاقات الذي أفرز أطفالا مجهولي النسب؟ معتبرة أن ذلك يعود لنفس الأسباب السابق ذكرها.

دافعت الكاتبة من ناحية أخرى في كتابها على قضية النساء العازبات معتبرة أن النظرة الدونية من قبل المجتمع تجاههن والتحقير من شأنهن يعد في حدّ ذاته خرقا لحقوق المرأة وابنها، خاصة وأن العبء يبق دائما مسلطا على المرأة في تحمل المسؤولية سواء كانت عازبة أو أرملة، مما يدفعا إلى تحمل المسؤولية بمفردها. أي أنها على حد اعتبار الكاتبة تقوم مقام الأب وتعني بذلك الأب الغائب أو الشريك الذي يتجرّد من المسؤولية. ومن هنا يقترن مفهوم العازبة بمفهوم"الأبوّة الواحدة" وهذا ما يضاعف من مسؤوليتها، مما يؤثر سلبا على شخصيتها وتصرفاتها سواء من الناحية المعنوية(التعصب والكلام البذيء) أو المادية (العنف والتسلّط)، الأمر الذي ينعكس على العائلة ويتسبب في التشتت وكل ذلك يؤثر على الطفل الغير الشرعي والمنبوذ من قبل المجتمع، فيتحولون إلى أطفال من ذوي الميولات الإجرامية ومنحرفين.

3. أهم النتائج والتعليقات:

وقد انطلقت الكاتبة في تحليلها من بعض التصورات المنتشرة في المجتمع الايطالي حول الأم مثل:"أمي هي أمي دائما"، لتستنتج أن الأم على عكس الأب هي الضحية في كل الحالات. معتبرة أن هذا المثل الشائع يجعل الأم في الصدارة ويعظّم من قيمتها ومركزها. إلا أنه في الواقع هناك حطّ من قيمة الأمهات العازبات كما لو أنهن حالة شاذة أو أقلية داخل المجتمع مقارنة بالأسر الطبيعية. وقد اعتبرت أنه مهما تعددت أشكال العلاقات الزوجية فإن الأم هي الأم. وقد استنتجت الكاتبة تعدد أشكال الأم معتبرة أن الانخفاض الأخير للمؤسسة الزوجية الذي ظهر في الغرب الأوروبي إنما ظهر مع انتشار أشكال مـــتعددة من التعايش أفرزتها طبيعة الحياة العصرية وما تحمله من خاصيات.

ومن ناحية أخرى استعرض الكتاب تحليلا واضحا من آلام اللوم الذي يصيب الأمهات العازبات في كل من الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا، مثلما بدأ الأدب الخاص بالأسرة في أمريكا الشمالية بتفكيك الميل المتنقل إلى الوالد. فمعظم الظواهر السلبية التي تميز الأسرة من الناحية النفســـية و الاجتماعية والميول الإجرامية والإدمان والانتحار تؤدي إلى عواقب وخيمة بما فيها العلاقات الجنسية المتداولة بكثرة في المجتمع الأوروبي

الذي منه المجتمع الايطالي، واعتبرت أن ذلك من العوامل المغذية لانتشار ظاهرة الأسرة ذات العائل الواحد الذي هو الأم أو ما يسمى بالأم العازبة.

من النتائج التي توصلت إليها الكاتبة أن الأم في كل الحالات ضحية في المجتمع الايطالي، بمعنى أنها سواء أنجبت داخل الأطر الرسمية أو خارجها تبق ضحية هذا الانفصال بحكم الأعباء التي تتحملها بمفردها.

مثلما استنتجت الكاتبة أن ظاهرة الأم العازبة هي ظاهرة قديمة تواصلت حتى مجـــــيء الحداثة و تجذرت في عديد المجتمعات الراقية مثل الولايات المتحدة الأمريكية. معتبرة في نفس هذا الاتجاه أن الأم العازبة تعاني عديد التوترات النفسية والاجتماعية، الأمر الذي يستدعي ضرورة تكثيف الجهود من أجل رعايتها، معتبرة أن أخطاءها لا يمكن أن تكون مبررا لإهمالها ولومها، وهذا الموقف تبنته الباحثة ودافعت عنه في كتابها هذا، و لأجل ذلك خلصت إلى اقتراح جملة من الحلول قصد الحد من تفشي هذه الظاهرة، وهو ما أمكن حصر أهمها وفق الآتي:

- سنّ جملة من القوانين التي تحمي المرأة سواء كانت داخل إطار الزواج أو خارجه،
- نشر ظاهرة الوعي والمعرفة بحقوق المرأة العازبة،
- المساواة بين الأم العازبة و الأم المتزوجة،
- المساواة بين الرجل والمرأة،
- الحد من البطالة باعتبارها دافعا لهذا النمط من الارتباط،
- إعادة بناء قرارات جديدة تخص الأم العازبة، أي السعي إلى تغيير النظرة والعقلية السائدة تجاهها.

إلا أن ما تجدر الإشارة إليه، أن الكاتبة جيوفنّا كامبني أهملت في اعتقادنا جزءا هاما من العوامل المساهمة في تفشي ظاهرة النساء العازبات في المجتمع الأوروبي عموما والايطالي على وجه الخصوص، وخاصة فيما له علاقة بالحريات الشبه مطلقة التي تبيحها قوانين هذه البلدان بلغ أقصاها إباحة الزواج المثلي، الشذوذ الجنسي، المواقع الإباحية وعلاقة ذلك بالتجارة الجنسية. فصحيح أنها اعتبرت أن النساء العازبات من إفرازات الحداثة وما بعدها، ولكنها لم تعر اهتماما إلى أحد جوانب هذه الحداثة القائمة على المادية والفردانية المغيّبة لكل ما هو نزعة محافظة أي تلك القيم التـــــــي اندثرت أو تقلّصت في المجتمعات التي درستها. على عكس المجتمعات العربية الإسلامية التي تحضر فيها الرقابة الدينية والأخلاقية في تنظيم المجتمع وبالتالي فإن انتشار النساء العازبات أقل حدة.